

المستطرف في كل فن مستظرف

أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله إلى أن يغيب في الثرى فكتب إليه عقيل يقول .
(صدقت وقلت حقا غير أنني ... أرى أن لا أراك ولا تراني) .
(أقول سوء في صديقي ... ولكنني أصد إذا جفاني) .
فركب إليه معاوية B وناشده في الصفح عنه واستعطفه حتى رجع .
وحكي عنه B أنه لما ولي الخلافة وانتظمت إليه الأمور وامتلت منه الصدور وأدعن لأمره الجمهور وساعده في مراده القدر المقدور استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا في القول الصحيح والمريض وآل حديثهم إلى من كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة يا أصحاب علي تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لقابل والمسلم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية B كم أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون علي فيها قالوا نشير بقتلها فإنها أهل لذلك فقال لهم معاوية B بئسما اشرتم وقبحا لما قلتم أيحسن أن يشتهر عني أنني بعدما طفرت وقدرت قتلت امرأة قد وفّت لصاحبها إني إذا للئيم لا وإني لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا إلى واليه بالكوفة أن أنفذ إلي الزرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأ عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة فحملها في هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت سيرك قالت